﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾

يذكّر الله تبارك وتعالى بنى إسرائيل بقصة عبادة العجل . وهى قصة مخالفة خطيرة لمنهج الله ومخالفة فى القمة . . عبادة الله وحده . والذى حدث ان موسى عليه السلام ذهب لميقات الله ومعه نقباء قومه ليتلقى المنهج والتوراة . . وأخبره الله سبحانه وتعالى أن قومه قد ضلوا وعبدوا غير الله . . وعاد موسى وهو فى قمة الغضب . وامسك بأخيه هارون يجره من رأسه ولحيته . . ويقول له لقد اخلفتك عليهم لكيلا يضلوا ، فقال هارون عليه السلام :

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾

(سورة طه)

فتنة عبادة العجل حدثت بسبب السامرى . . والسامرى اسمه موسى السامرى ولدته أمه فى الصحراء وماتت فكفله جبريل ورباه . . وكان جبريل عليه السلام يأتيه على حصان . . يحمل له مايحتاج إليه من طعام وشراب ، وكان موسى السامرى يرى حصان جبريل ، كلما مشى على الأرض وقع منه تراب فتخضر وتنبت الأرض بعد هذا التراب . وأيقن أن فى حافر الحصان سرًا . . فأخذ قبضة من أثر الحصان ووضعها فى العجل المصنوع من الذهب . فأخذ يحدث خوارا كأنه حى . .

ولا تتعجب من أن صاحب الفتنة يجد معونة من الأسباب حتى يفتن بها الناس . . لأن الله تبارك وتعالى يريد أن يمتحن خلقه . والذى يحمل دعوة الحق

لابد أن يهيئه الله سبحانه وتعالى تهيئة خاصة . ورسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينتقل الى المدينة .. تعرض هو والمسلمون لا بتلاءات كثيرة .. ولقد جاء حدث الاسراء والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تخلت عنه أسباب الدنيا فى مكة وذهب الى الطائف يدعو أهلها فسلطوا عليه غلمانهم وسفهاءهم فقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين .. ورفع يديه الى السماء بالدعاء المأثور :

«اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس» ..

وليس هذا على الرسول وحده بل والمؤمنين معه .. حتى أن مصعب بن عمير فتى قريش المدلل .. الذى كان عنده من الملابس والأموال والعبيد ما لا يعد ولا يحصى رئى بعد اسلامه وهو يرتدى جلد حمار وذلك حتى يختبر الحق سبحانه وتعالى فى قلب مصعب بن عمير حبه للإيمان .. هل يحب الدنيا أكثر أو يحب الله ورسوله أكثر .. حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان يقول للصحابة انظروا كيف فعل الايمان بصاحبكم .

والله تبارك وتعالى لابد ان يمحص ويختبر أولئك الذين سيحملون دعوته الى الدنيا كلها .. لابد أن يكونوا صابرين على البلاء . أقوياء امام خصوم الدعوة .. مستعدين لتحمل المتاعب والآلام .. لأن هذا هو دليل الصدق فى الايمان ..

ولذلك تجد كل دعوة ضلال تأتى بالفائدة لأصحابها .. دعوة الشيوعية يستفيد منها أعضاء اللجنة المركزية .. أما الشعب فإنه يرتدى ملابس رخيصه .. ويسكن فى بيوت ضيقة . أما السادة الذين ينفقون بلا حساب فهم أعضاء اللجنة المركزية .. هذه دعوة الباطل .. وعكس ذلك دعوة الحق .. صاحب الدعوة هو الذى يدفع أولا ويضحى أولا . لا ينتفع بما يقول بل على العكس يضحى فى سبيل ما يقول .. اذن الباطل يأتى بالخير لصاحب الدعوة . فإذا رأيت دعوة تغدق على أتباعها فاعلم أنها دعوة باطل .. لولا أنها أعطت بسخاء ما تبعها أحد .

والآية الكريمة التى نحن بصددها هى تقريع من موسى عليه السلام لقومه .. الذين نجاهم الله من آل فرعون وأهلك عدوهم فاتخذوا العجل إلها .. ومتى

حدث ذلك ؟ فى الوقت الذى كان موسى فيه قد ذهب لميقات ربه ليأتى بالمنهج . . والذين اتخذوا العجل إلها . . هل ظلموا الله سبحانه وتعالى أو ظلموا انفسهم ؟ . . ظلموا أنفسهم لأنهم أوردوها مورد التهلكة دون أن يستفيدوا شيئا . . والظالم على أنواع . . ظالم فى شيء أعلى أى فى القمة . . وظالم فى مطلوب القمة . . الظالم فى القمة هو الذى يجعل الله شريكا ولذلك قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

(من الآية ١٣ سورة لقمان)

وعلاقة الشرك بالظلم أنك جئت بمن لم يخلق ومن لم يرزق شريكا لمن خلق ورزق . . وذلك الذى جعلته إلها كيف يعبد ؟ . . العبادة طاعة العابد للمعبود . . فماذا قال لكم هذا العجل الذى عبدتموه من دون الله أن تفعلوا . . لذلك فأنتم ظالمون ظلم القمة . . والظلم الآخر هو الظلم فيما شرعت القمة . . بأن اخذتم حقوق الناس واستبحتموها . . فى كلتا الحالتين لا يقع الظلم على الله سبحانه وتعالى ولكن على نفسك . لماذا ؟ . . لأنك آمنت بالله أو لم تؤمن . سيظل هو الله القوى القادر العزيز . لن يُنْقص إيمانك أو عدم إيمانك من ملكه شيئا . ثم تأتى يوم القيامة فيعذبك . فكأن الظلم وقع عليك . . وإذا أخذت حقوق الناس فقد تتمتع بها أياما أو أسابيع أو سنوات ثم تموت وتتركها وتأخذ العذاب . فكأنك ظلمت نفسك ولم تأخذ شيئا . . لذلك يقول الحق جل جلاله :

﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(من الآية ٥٧ سورة البقرة)

وظلم الناس يعود على أنفسهم . . لأنه لا أحد من خلق الله يستطيع أن يظلم الله سبحانه وتعالى . . وقوله سبحانه «فتوبوا الى بارئكم» . . الحق تبارك وتعالى قال فى الآية السابقة «عفونا عنكم» ثم يقول فى هذه الآية «فتوبوا الى بارئكم» . . لأن التوبة هى أصل المغفرة . أنت تتوب عن فعلك للذنب وتعتزم ألا تعود لمثله أبدا ويقبل الله توبتك ويعفو عنك . .

وقد كان من الممكن أن يأخذهم الله بهذا الذنب ويهلكهم كما حدث بالنسبة للأمم السابقة . . أما وقد شرع الله لهم أن يتوبوا . فهذا فضل من الله وعفو . . ثم يقول الحق تبارك وتعالى : «فاقتلوا أنفسكم» . . فانظروا الى دقة التكليف ودقة الحيثية فى قوله تعالى : «فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم» الله سبحانه وتعالى يقول لهم . . أنا لم أغلب عليكم خالقا خلقكم أو آخذكم منه . . ولكن أنا الذى خلقتكم . ولكن الخالق شىء والبارىء شىء آخر . . خلق أى أوجد الشىء من عدم . . والبارىء أى سَوَّاهُ على هيئة مستقيمة وعلى أحسن تقويم . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝﴾

(سورة الأعلى)

ومن هنا نعرف أن الخلق شىء والتسوية شىء آخر . . بارئكم مأخوذة من برىء السهم . . وبرىء السهم يحتاج الى دقة وبراعة .

وقوله تعالى : « فاقتلوا أنفسكم » لأن الذى خلقك وسواك كفرت به وعبدت سواه . فكأنك فى هذه الحالة لابد ان تعيد له الحياة التى وهبها لك . . وعندما نزل حكم الله تبارك وتعالى . . جعل موسى بنى اسرائيل يقفون صفوفا . وقال لهم ان الذى لم يعبد العجل يقتل من عبده . . ولكنهم حين وقفوا للتنفيذ . كان الواحد منهم يجد ابن عمه وأخاه وذوى رحمه أمامه فيشق عليه التنفيذ . . فرحمهم الله بان بعث ضبابا يسترهم حتى لايجدوا مشقة فى تنفيذ القتل . . وقيل أنهم قتلوا من أنفسهم سبعين ألفا .

وعندما حدث ذلك أستصرخ موسى وهارون ربهما . . وقالا البكية البكية . أى أبكوا عسى أن يعفو الله عنهم . ووقفوا يبكون أمام حائط المبكى فرحمهم الله . .

وقوله تعالى : «فاقتلوا انفسكم» لأن هذه الأنفس بشهوتها وعصيانها . . هى التى جعلتهم يتمردون على المنهج . .

إن التشريع هنا بالقتل هو كفارة الذنب . لأن الذى عبد العجل واتخذ إلها آخر غير الله . كونه يقدم نفسه ليقتل فهذا اعتراف منه بأن العجل الذى كان يعبده

باطل .. وهو بذلك يعيد نفسه التى تمردت على منهج الله الى العبادة الصحيحة .. وهذا أقسى أنواع الكفارة .. وهو أن يقتل نفسه اثباتا لإيمانه .. بأنه لا إله إلا الله وندما على ما فعل واعلانا لذلك .. فكأن القتل هنا شهادة صادقة للعودة الى الايمان .

وقوله تعالى «ذلكم خير لكم عند بارئكم» .. أى أن هذه التوبة هى أصدق أنواع التوبة .. وهى خير لأنها تنجيكم من عذاب الآخرة .. وقوله سبحانه «فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم» . التوبة الأولى أنه شرع لكم الكفارة .. والتوبة الثانية عندما تقبل منكم توبتكم .. وعفا عنكم عفوا أبديا .



﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

بعد أن تاب الله على قوم موسى بعد عبادتهم للعجل .. عادوا مرة أخرى الى عنادهم وماديتهم . فهم كانوا يريدون إلها ماديا .. إلها يرونه ولكن الاله من عظمته أنه غيب لا تدركه الأبصار .. واقرأ قوله تعالى :

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

(سورة الأنعام)

فكون الله سبحانه وتعالى فوق إدراك البشر .. هذا من عظمته جل جلاله .. ولكن اليهود الذين لا يؤمنون إلا بالشيء المادى المحس .. لاتتسع عقولهم ولا قلوبهم الى أن الله سبحانه تعالى فوق المادة وفوق الأبصار .. وهذه النظرة المادية نظرة حمقاء .. والله تبارك وتعالى قد لفتنا الى قضية رؤيته جهرا فى الدنيا .. بقوله تعالى :

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(سورة الذاريات)

اى أن الله جل جلاله وضع دليل القمة على وجود الله الذى لا تدركه الأبصار . وضع هذ الدليل فى نفس كل واحد منا . وهى الروح الموجودة فى الجسد .. والانسان مخلوق من مادة نفخت فيها الروح فدبت فيها الحياه والحركة والحس .. اذن كل ما فى جسدك من حياه .. ليس راجعا الى المادة التى تراها

أمامك . . وإنما يرجع الى الروح التى لا تستطيع أن تدركها إلا بآثارها . . فاذا خرجت الروح ذهبت الحياة وأصبح الجسد رمة .

اذا كانت هذه الروح التى فى جسدك . . والتى تعطيك الحياة لا تستطيع أن تدركها مع أنها موجودة داخلك . . فكيف تريد أن تدرك الله سبحانه وتعالى . . كان يجب أولا أن تسأل الله أن يجعلك تدرك الروح التى فى جسدك . . ولكن الله سبحانه وتعالى قال إنها من أمر الله . . واقرأ قوله جل جلاله :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

(سورة الأسراء)

اذا كانت هذه الروح هى مخلوقة لله لا تدركها . . فكيف تطمع أن ترى خالقها . وانظر الى دقة الأداء القرآنى فى قوله سبحانه . «حتى نرى الله جهرة» . . فكلمة نرى تطلق ويراد بها العلم . مثلا :

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾

(من الآية ٤٣ سورة الفرقان)

أى أعلمت . . ولكن جاءت كلمة جهرة لتنفى العلم فقط وتطالب بالرؤية مجهورة واضحة يدركونها بحواسهم . وهذا دليل على أنهم متمسكون بالمادية التى هى قوام حياتهم . . نقول لهؤلاء إن سؤالكم يتسم بالغباء . . فأنتم حين تطلبون أن تروا الله جهرة . والمفروض أن الله تبارك وتعالى له مدلول عندكم . . ولذلك تطلبون رؤيته لتقارنوا المدلول على الموجود . . ذلك لو كانت القضية أصلا أن تعرفوا أن الله موجود أو غير موجود . . والذى شجعهم على أن يقولوا ما قالوا . . طلب موسى عليه السلام من الله سبحانه وتعالى أن يراه . واقرأ قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾

(من الاية ١٤٣ سورة الأعراف)

ولابد أن نعرف أن قضية رؤية الله فى الدنيا محسومة . . وأنه لا سبيل الى ذلك والانسان فى جسده البشرى . . لأن هذا الجسد له قوانين فى ادراكاته . . ولكن يوم القيامة نكون خلقا بقوانين تختلف . . ففى الدنيا لابد أن تخرج مخلفات الطعام من اجسادنا . وفى الآخرة لا مخلفات . وفى الدنيا يحكمنا الزمن . . وفى الآخرة لا زمن. إذ يظل الانسان شبابا دائما . . إذن فهناك تغيير . .

المقاييس هنا غير المقاييس يوم القيامة فى الدنيا باعدادك وجسدك لايمكن أن ترى الله . وفى الآخرة يسمح إعدادك وجسدك بأن يتجلى عليك الله سبحانه وتعالى . . وهذا قمة النعيم فى الآخرة . أنت الآن تعيش فى أثار قدرة الله . . وفى الآخرة تعيش عيشة الناظر الى الله تبارك وتعالى . . وفى ذلك يقول الحق جل جلاله :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

(سورة القيامة)

والانسان فى الدنيا قد اخترع الات مكنته من أن يرى ما لا يراه بعينه المجردة يرى الاشياء الدقيقة بواسطة الميكرسكوب . والاشياء البعيدة بواسطة التلسكوب . . فاذا كان عمل الانسان فى الدنيا جعله يبصر ما لم يكن يبصره . . فما بالك بقدرة الله فى الآخرة . . وإذا كان الانسان عندما يضعف نظره . يطلب منه الطبيب استعمال نظارة . . فاذا ذهب الى طبيب أمهر . . اجرى له عملية جراحية فى عينه يستغنى بها عن النظارة ويرى بدونها . . فما بالكم بإعداد الحق للخلق وبقدرة الله التى لاحدود لها فى أن يعيد خلق العين بحيث تستطيع أن تتمتع بوجهه الكريم .

ولقد حسمْ الله تبارك وتعالى المسألة مع موسى عليه السلام بأن أراه العجز البشرى . . لأن الجبل بقوته وجبروته لم يستطع احتمال نور الله فجعله دكا . . وكأن الله يريد أن يفهم موسى . . أن الله تبارك وتعالى حجب عنه رؤيته رحمة منه . لأنه إذا كان هذا قد حدث للجبلِ فماذا كان يمكن أن يحدث بالنسبة لموسى . إذا كان موسى قد صعق برؤية المتجلَى عليه . . فكيف لو رأى المتجلِّ ؟ . .

والانسان حين يعجز عن إدراك شىء فى الدنيا لأنه مخلوق بهذه الامكانات

يكون العجز عن الادراك ادراكا لأن العجز عن الادراك هو فى عظمة الله سبحانه وتعالى . . وقوم موسى حينما طلبوا منه أن يروا الله جهرة أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . . عندما اجترأوا هذا الاجتراء على الله أخذتهم الصاعقة . . والصاعقة إما نار تأتى وإما عذاب ينزل . . المهم أنه بلاء يعمهم . . والصاعقة قد أصابت موسى .



﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ٥٦

فالحق سبحانه وتعالى يكمل لنا قصة الذين قالوا «ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة» . موسى عليه السلام أصيب بالصاعقة أيضا . . عندما طلب أن ينظر الى الله . ولكن هناك فرق بين الحالتين . . الله تبارك وتعالى يقول :

﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

. (من الآية ١٤٣ سورة الأعراف)

ولكن الأمر لم يكن كذلك مع قوم موسى . فمع موسى قال الله سبحانه وتعالى : «فلما أفاق» أى أن الصاعقة أصابته بنوع من الاغماء . . ولكن مع قوم موسى . قال : «ثم بعثناكم من بعد موتكم» . . فكأن قوم موسى ماتوا فعلا من الصاعقة . . فموسى أفاق من تلقاء نفسه . . أما أولئك الذين أصابتهم الصاعقة من قومه . . فقد ماتوا ثم بعثوا لعلهم يشكرون .



﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

فالله سبحانه وتعالى يريد أن يمتن على بنى اسرائيل بنعمه ومعجزاته . . ويرينا أنه برغم كل هذه النعم عاش بنو اسرائيل فى عنادهم وتعنتهم ، بعد أن طلب بنو اسرائيل أن يروا الله جهرة فقتلتهم الصاعقة . . ثم بعثهم الله تبارك وتعالى لعلهم يشكرون . . ذكر لنا الحق جل جلاله نعما أخرى من نعمه على بنى اسرائيل . . وقال اذكروا إذ كنتم فى الصحراء وليس فيها ظل تحتمون به من حرارة الشمس القاسية . . وليس فيها مكان تستظلون فيه ، لأنه لا ماء ولا نبات فى الصحراء . . فظلل الله سبحانه وتعالى عليكم بالغمام . . أى جاء الغمام رحمة من الله سبحانه وتعالى . . ثم بعد ذلك جاء المن والسلوى . .

والمن نقط حمراء تتجمع على أوراق الشجر بين الفجر وطلوع الشمس . وهى موجودة حتى الآن فى العراق . . وفى الصباح الباكر يأتى الناس بالملاءات البيضاء ويفرشونها تحت الشجر . . ثم يهزون الشجر بعنف فتسقط القطرات الموجودة على ورق الشجر فوق الملاءات . . فيجمعونها وتصبح من اشهى أنواع الحلويات . فيها طعم القشدة وحلاوة عسل النحل . . وهى نوع من الحلوى اللذيذة المغذية سهلة الهضم سريعة الامتصاص فى الجسم . والله سبحانه وتعالى جعله بالنسبة لهم وقود حياتهم . . وهم فى الصحراء يعطيهم الطاقة . أما السلوى فهى طير من السماء ويقال انه السمان . . يأتيهم فى جماعات كبيرة لايعرفون مصدرها . . ويبقى على الارض حتى يمسكوا به ويذبحوه ويأكلوه .

فالله تبارك وتعالى قد رزقهم بهذا الرزق الطيب من غمام يقيهم حرارة الشمس ، ومَنّ يعطيهم وقود الحركة . وسَلْوىَ كغذاء لهم ، وكل هذا يأتيهم من

السماء دوئما تعب منهم . . ولكنهم لعدم ايمانهم بالغيبيات يريدون الأمر المادى وهم يخافون أن ينقطع المَنُّ والسلْوى عنهم يوما ما فماذا يفعلون ؟

لو كانوا مؤمنين حقا لقالوا : إن الذى رزقنا بالمن والسلوى لن يضيعنا . . ولكن الحق جل جلاله ينزل لهم طعامهم يوميا من السماء وهم بدلا من أن يقابلوا هذه النعمة بالشكر قابلوها بالجحود .

وقوله تعالى : «وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» فالحق سبحانه وتعالى يتحدث للمرة الثالثة عن ظلم قوم موسى . . ففى المرة الأولى قال «وانتم ظالمون» . وفى الآية الثانية قال : «ظلمتم أنفسكم» . . وفى هذه الآية قال : «وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» . .

ولقد سبق أن قلت انه لا أحد يستطيع أن يظلم الله لأن الله سبحانه وتعالى باق بقدرته وقوته وعظمته . . لا يقلل منها لو كفر أهل الأرض جميعا ولايزيد فيها لو آمن اهل الارض كلهم . فقدرة الله باقية وكلمته ماضية . . ولكن نحن الذين نظلم أنفسنا . . بأن نوردها مورد التهلكة والعذاب الذى لا نجاة منه دون أن نعطيها شيئا . .

إن الدنيا كما قلنا عالم أغيار . والنعمة التى أنت فيها زائلة عنك . إما أن تتركها بالموت أو تتركك هى وتزول عنك . . وتخرج من الدنيا تحمل اعمالك فقط . . كل شيء زال وبقيت ذنوبك تحملها الى الآخرة . . ولذلك فإن كل من عصى الله وتمرد على دينه قد ظلم نفسه لأنه قادها الى العذاب الأبدى طمعا فى نفوذ أو مال زال بعد فترة قصيرة ولم يدم . . فكأنه ظلمها بأن حرمها من نعيم أبدى واعطاها شهوة قصيرة عاجلة » .



﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

من هذه الآية الكريمة نعرف أن بنى اسرائيل رفضوا رزق السماء من المن والسلوى مع أنه كان رزقا عاليا . . عاليا فى الجودة لأنه طعام حلو نقى شهى ينزل لهم من السماء مباشرة ، وعاليا فى الكثرة من أنه كان يأتيهم بلا عمل وبلا تعب وبكميات هائلة تكفيهم وتزيد . . وطلبوا من موسى طعام الأرض الذى يزرعونه بأيديهم ويرونه أمامهم كل يوم فقد كانوا يخافون أن يستيقظوا يوما فلا يجدون المن والسلوى . الحق سبحانه وتعالى يكمل لنا القصة فى آية قادمة :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ الْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ ﴾

(من الآية ٦١ سورة البقرة)

فالله سبحانه وتعالى مازال يمتن على بنى اسرائيل بنعمه وكيف قابلوها بالجحود . . فيذكرهم بإنجائهم من عذاب آل فرعون . . ويذكرهم بالبحر الذى انشق لهم فمشوا فيه ثم انقض الماء بعد ذلك على آل فرعون فأغرقهم . . ويذكرهم كيف أنهم عبدوا العجل بعد ذلك . . وكان من الممكن أن يهلكهم الله بذنوبهم . كما أهلك الأمم السابقة ولكنه عفا عنهم . . ثم يذكرهم بفضله عليهم بأن أعطاهم الكتاب الذى يفرق بين الحق والباطل . . ويذكرهم بأنهم طلبوا أن يروا الله جهرة . . فصعقوا وماتوا ثم بعثهم الله.ويذكرهم كيف ظللهم بالغمام

من حرارة الشمس المحرقة . . ورزقهم بالمن والسلوى . . ثم يذكرهم بأنهم طلبوا طعام الأرض فاستجاب لهم .

فى هذه الآية يقول الحق تبارك وتعالى : « فكلوا منها حيث شئتم رغدا » . وفى آية أخرى يقول : « رغدا حيث شئتم ». الفرق فى المعنى أن قوله تعالى : « حيث شئتم رغداً » تدل على أن هناك أصنافاً كثيرة من الطعام .
«ورغداً حيث شئتم» يكون هناك صنف واحد والناس جائعون فيقبلون على الطعام . . عندما يقول الحق جل جلاله : كلوا رغداً يكون المخاطب هنا نوعين : إنسان غير جائع ولذلك تعد له ألوانا متعددة من الطعام لتغريه على الأكل . . فتقدم فى هذه الحالة «حيث شئتم» فيقال : «فكلوا منها حيث شئتم رغداً» . . فاذا كان الانسان جوعان يرضى بأى طعام . . فيقال رغدا حيث شئتم .

إن المسألة فى القرآن الكريم ليست تقديما وتأخيرا فى الألفاظ . . ولكن المعنى لا يستقيم بدون هذا التغيير . . قوله تعالى «ادخلوا هذه القرية» . . والقرية هى هنا بيت المقدس أو فلسطين أو الأردن . . الحق تبارك وتعالى يقول : «وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين» . .

والحق جل جلاله حين خاطبهم بين لنا أنهم لم يكونوا فى حالة جوع شديد بحيث يأكلون أى شىء فقال : «فكلوا منها حيث شئتم رغداً» أى ستجدون فيها ألوانا كثيرة من الطعام تغريكم على الأكل ولو لم تكونوا جائعين . وقوله تعالى : «وادخلوا الباب سجداً» . . أى ادخلوا الباب وأنتم فى منتهى الخضوع . . «وقولوا حطة» أى حط عنا ذنوبنا يارب . . غير أنهم حتى فى الأمر يغيرون مضمونه . . ويلبسون الحق بالباطل . . وهذه خاصية فيهم . . ولذلك دخلوا الباب وهم غير ساجدين . . دخلوه زاحفين على ظهورهم . . مع أن ما أمرهم الله به أقل مشقة مما فعلوه . . فكأن المخالفة لم تأت من أن أوامر الله شاقة . . ولكنها أتت من الرغبة فى مخالفة أمر الخالق وبدلا من أن يقولوا حطة . أى حط عنا يارب ذنوبنا قالوا حنطة والحنطة هى القمح . . ليطوعوا اللفظ لأغراضهم . . فكأن المسألة ليست عدم قدرة على الطاعة ولكن رغبة فى المخالفة .

ومع ان الحق تبارك وتعالى وعدهم بالمغفرة والرحمة والزيادة للمحسنين . .

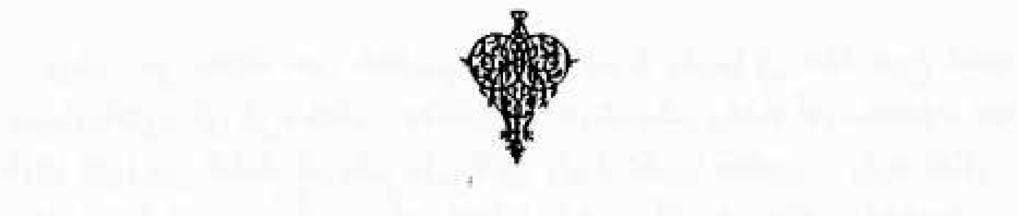
فإنهم خالفوا وعصوا . . وقوله تعالى : «وسنزيد المحسنين» يأتى فى الآية الكريمة :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾

(من الآية ٢٦ سورة يونس)

أى لهم اجر مثل ما فعلوا أضعافا مضاعفة . . وما هى الزيادة ؟

أن يروا الله يوم القيامة . هذه هى الزيادة التى ليس لها نظير فى الدنيا .



﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

الله سبحانه وتعالى يشرح لنا فى هذه الآية الكريمة كيف أن اليهود قوم معصية رغم نعم الله عليهم .. فلو أن الله سبحانه وتعالى كلفهم تكليفا لم يستطيعوه ؛ لأنه شاق عليهم فربما كان لهم عذرهم .. ولكن الله تبارك وتعالى لا يكلف إلا بما هو فى طاقة الانسان أو أقل منها .. فيقول جل جلاله :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾

(من الآية ٢٨٦ سورة البقرة)

والله تبارك وتعالى لم يكلف بنى اسرائيل بأن يدخلوا هذه القرية التى يقال: إنها القدس ويقال أنها قرية فى فلسطين أو قرية فى الاردن .. إلا بناء على طلبهم هم . فهم الذين طلبوا من موسى أن يدعو الله لهم أن يدخلوا واديا فيه زرع .. ليأكلوا مما تنتج الأرض ويطمئنوا على طعامهم .. لأنهم يخافون أن يأتى يوم.. لاينزل عليهم المن والسلوى من السماء .. فلما استجاب الله لدعواهم وقال لهم ادخلوا الباب خاشعين . وقولوا يارب حط عنا ذنوبنا .. بدل بنو اسرائيل القول فبدلا من أن يقولوا حطة قالوا حنطة .. وبدلوا طريقة الدخول فبدلا من أن يدخلوا ساجدين دخلوا على ظهورهم زاحفين .. وكان هذا رغبة فى المخالفة .. فأصابهم الله بعذاب من السماء بما كانوا يفسقون.. أى يبتعدون عن منهج الله ولا يطبقونه . رغبة فى المخالفة وإصرارا على العناد .